يائية أبي مدين شعيب دراسة لغوية

الأستاذ: محوي رابح
قسم الآداب و اللغة العربية
جامعة جيجل - (الجزائر)

ملخـــص:

إن مجمل أشعار أبي مدين شعيب تعكس تجربته الزهدية التي عبر فيها عما يختلج في نفسه من حب وجمال وقيم أخلاقية ومعرفة ومقامات وأحوال يتدرج فيها السالك لبلوغ مرتبة الكشف ، وكان القرآن الكريم المنبع الفياض الذي يستقي منه الشاعر معظم أفكاره ورآه حيث وظف ألفاظه ومعانيه ومضامينه في أغلب قصائده، ويتجلى ذلك الاقتباس بوضوح في قصيدته اليائية . ويائيته هذه تحمل توجه الشاعر في إظهار سمات الشوق و الحنين الرجاء و التودد و كلها قيم يرنو إليها الصوفي لبلوغ أسمى درجات التقرب.

Résumé:

Les poèmes d'abi median chouayb tiennent compte de son ascétique qu'il a exprime' ce qui bat dans le même amour et la beauté et les valeurs morales .Les connaissances, les conditions et les sanctuaires classes ou salak de se purifier pour atteindre le rang de détection. le coran était l'origine des pluparts de ces idées et de visions tel qu'il est employé dans ses poèmes ses mots et sens et le contenu si bien site' clairement dans son poème (alya.iya.) dans ce poème le poète a montre' les attribues du désir et de la nostalgie d'espoir et de tendresse. Toutes les valeurs de sufisme aspirent à atteindre les plus hauts niveaux de détection.

لما توسعت رقعة الإسلام وشملت ربوعا واسعة من قارة آسيا ودخل في الإسلام أجناس مختلفة ومتنوعة تأثر المسلمون بحضارات هذه الأمم وبدأ يظهر على حياتهم العامة مظاهر البذخ والرفاهية التي لم يكونوا يعرفونها من قبل فأنكر قوم ذلك واتجهوا نحو الزهد في الحياة وترك الدنيا والانشغال بها والتفرغ للطاعة والعبادة وقد عرف ذلك في التاريخ الإسلامي بالتصوف ،و من رواده كثر آثرنا اختيار أبي مدين شعيب لريادته في هذا المجال و لما تركه من رصيد أدبي تمثل في شعره الذي وصلنا منه القليل و ما بقي ضاع مع ما ضاع من تراثنا العربي ، و جعلنا قصيدته اليائية بؤرة دراستنا اللغوية هده من أجل إبراز جوانب الإبداع على المستويات المختلفة الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

أولا:مفاهيـم

1 – معنى التصوف:

لا أريد أن أقف عند الاشتقاقات اللغوية للتصوف لأنه لا يخلو منها كتاب يشتغل بهذا الشأن ويمكن إيجازها بما ذكره الكلاباذي في كتابه التعرف لمذهب أهل التصوف (وهي الصفاء والصفة والصوف والصفوة)[1] والتصوف مشتق من الصوف قال أبو علي الروذباري وقد سئل عن الصوفي ((من لبس الصوف على الصفاء وأطعم البطن اطعام الجفاء وترك الدنيا خلف القفا وسلك سبيل المصطفى)[2] (وقد استأنس الصوفية في اختصاصهم بلبس الصوف بآثار من هدي الأنبياء والصالحين يضيق المجال عن حصرها)[3] وذكر القشيري وهو أحد الأئمة المعتمدين في هذا العلم في تفسيره (أن الصوفي مركب من أربعة حروف فالصاد صبره وصدقه وصفاؤه والواو وجده ووده ووفاؤه والفاء فقره وفقده وفناؤه والياء ياء النسبة بها أضيف إلى حضرة مولاه) [4] و(التصوف نشاط ثلاثي الأبعاد له جانب سيكولوجي وجانب فلسفي وجانب ديني)[5] وهده الجوانب الثلاثة مرتبط بعضها ببعض إذ الهدف واحد كما يقول كانت في دائرة المعارف البريطانية (التوحد مع الالهي أو المقدس)[6] .

أو كما يقول الجرجاني (هو صفاء المعاملة مع الله تعالى)[7] والتصوف معروف في كل الحضارات والأديان منذ قديم الزمان (ولو وصفنا تعريفا للتصوف باعتباره سلوكا لتبين

أنه أقرب إلى التصوف الديني وأما تعريفه باعتباره نظرة أو فلسفة حياة فهو فكر وفلسفة)[8] وهذا التعريف الأخير هو الأقرب لنظرة الغرب ويلخصها قول ألبرت اشفيتسر (إن كل نظرة في الحياة والعالم ترضي الفكر هي تصوف)[9] . و أيا كان الأمر فالتصوف أضحى مذهبا عريقا من المذاهب الإسلامية وقد شق طريقه إلى أكثر البلدان وأسس تقاليد خاصة به بغض النظر عما وجه له من نقد . و منذ النصف الثاني من القرن السادس الهجري بدأت شجرة التصوف تؤتي أطيب ثمارها حيث ظهر شعراء صوفيون جسدوا الفكر الصوفي برمزية وايحاء بديعين و من أبرز هؤلاء الشعراء المتصوفين أبي مدين شعيب. فمن هو أبو مدين شعيب المعروف بالغوث ؟

2- أبو مدين التلمساني شاعرا و متصوفا:

هو أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي، ولد بإشبيلية سنة 509هـ رحل من الأندلس، و نزل بطنجة، و (منها سار إلى سبتة، حيث اشتغل مع الصيادين طلباً للعيش، و لكن نفسه حدثته: أن ليس ذلك هو القصد الذي سافر من أجله، فانصرف إلى مراكش، ومنها إلى فاس و أقام بها، و لازم جامعها، حيث تعلم فرائض الوضوء والصلاة.)[10]

كان الزاهد الصّوفي أبو الحسن عليّ بن حرزهم (- 559 هـ) أول شيخ تعلق به قلب أبي مدين، فلازمه و تردد على مجلسه، ((و كان مما قرأه و أخذه عنه: "الرعاية لحقوق الله" للحارث المحاسبي، و "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي ثم تردد على مجلس فقيه فاس و عالمها أبي الحسن بن غالب القرشي (ت- 568 هـ) و أخذ عنه: "كتاب السّنن في الحديث" للأمام أبي عيسى الترمذي)[11] ولما رأى أبو مدين نفسه قد أخذ من علم الظاهر الكثير تاقت نفسه لعلم الباطن (التصوف) وبخاصة أن التصوف كان رائجا (فأخذ طريقة التّصوف عن الشيخ أبي عبد الله الدقاق وأبي الحسن السلاوي)[12]أما التّصوف بوصفه سلوكاً عملياً، فقد مارسه أبو مدين على يد الشيخ أبي يعزى (572 هـ) الذي كان يعد في هذا الجانب مصباح عدوة القرويين من فاس، و الذي حكيت عنه أعاجيب الأخبار في الكرم و الكرامات، لخصها أبو مدين في قوله: ((طالعت أخبار الصالحين من

زمان أويس القرني إلى زماننا، فما رأيت أعجب من أخبار أبي يعزى،وطالعت في كتب التصوف فما رأيت كالإحياء للغزالي.)[13].

رحل أبو مدين ، بعد ذلك ، إلى المشرق قصد أداء فريضة الحج ، وقد روي أنه تعرف في عرفة بالشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني (- 561هـ) رأس الطريقة القادرية، ((وأنه أخذ عنه في الحرم الشريف كثيراً من الأحاديث ، وألبسه خرقة الصوفية ، وأودعه كثيراً من أسراره ، وأن أبا مدين كان يفتخر بصحبته ، ويعده أفضل مشائخه الأكابر))(14) فيكون أبو مدين-بذلك- أول من نقل الطريقة القادرية إلى بلاد المغرب .

((ولما عاد أبو مدين من المشرق ، تردد في بلاد " إفريقية " أي تونس ، ثم استقر به المقام في بجاية، وهي المدينة التي كان يفضلها على كثير من المدن وإذا كانت بوادر النبوغ العلمي والصوفي قد ظهرت على أبي مدين في فاس فإن مناقب الشهرة وألقابها ، التى طبقت الآفاق ، مثل : " شيخ المشائخ " والجامع بين" الحقيقة والشريعة " وصاحب " مقام التوكل " ومخرج " الألف شيخ و " علم العلماء " و " الحافظ " و " المفتى" وصاحب " الكرامات والخوارق " و " القطب الغوث " ، قد نالها في أغلبها وهو في بجاية التي أحبها وفضلها على غيرها من المدن ، وهي المدينة التي تصدى فيها للتدريس والتربية ، كانت عيون الدولة الموحدية، المتعصبة لمسائل علم الظاهر كالفقه و علم الكلام تراقبه و تتوجس منه خيفة من شهرته و كثرة طلابه و أصحابه و عموم أتباعه الذين أصبحوا يشكلون قوة لها خطرها على الدولة القائمة على مذهب مخالف.)[15]

و كذلك كان مآله في آخر حياته، فقد تناقل الرواة أن الشيخ (لما اشتهر أمره ببجاية وشي به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور، و قال: إنه يخاف منه على دولتكم، فإن له شبهاً بالإمام المهدي، و أتباعه كثيرون في كل بلد، فوقع في قلبه، و أهمه شأنه، فبعث إليه في القدوم عليه ليختبره، و كتب لصاحبه ببجاية بالوصية و الاعتناء به، وأن يحمله خير محمل) [16].

فلما أخذ أبو مدين يستعد للسفر إلى مراكش ، للمثول بين يدي يعقوب المنصور خليفة الدولة ، شق ذلك على أصحابه، وخافوا أن يصيبه منه مكروه، فطمأنهم الشيخ

وكان مما قاله لهم:(شعيب شيخ كبير ضعيف لا قوة لـه للمشي،و منيته قدّرت بغير هذا المكان، و لابد من الوصول إلى موضع المنية، فقيض الله لي من يحملني إلى مكان الدفن برفق، و يسوقني إلى مرام المقادير أحسن سوق،و القوم لا أراهم ولا يروني) [17].

فلما وصل الموكب به إلى ولاية تلمسان، مرض الشيخ مرض الموت، و لما وصل إلى وادي يسّر اشتد مرضه، فنزلوا به هناك، حيث وافته المنية سنة 594هـ، عن عمر يناهز خمسا وثمانين سنة، و حمل الجثمان إلى قرية العباد مدفن الأولياء، و منذ ذلك الحين، صارت تلمسان مدينة الوليّ سيدي أبي مدين يعرف بها وتعرف به.

و(لقد ملأ أبو مدين- رحمه الله - الدنيا و شغل الناس بما رويعنه من" كرامات " و خوارق العادات) [18] وبما أثر عنه من منثور الكلام و منظومه الصوفي فقد كان الشيخ فقيهاً مفتياً، و كان الناس يقصدونه أو يراسلونه من أطراف الأرض للاستفتاء فيفتيهم، و كان الشيخ إلى جانب ذلك قوّالاً للحكمة ناظماً للشعر، بما في ذلك الموشحات والأزجال، وقد اعتنى بجمعها الشيخ العربي بن مصطفى الشوار التلمساني شيخ الزاوية العلوية بتلمسان، و نشرها في سفر واحد نجله محمد بن العربي بمطبعة الترقي في دمشق سنة 1938م بعنوان: ديوان الشيخ سيدي شعيب أبي مدين .

ثانيا : النص قيد الدراسة

1 – نص القصيدة:

و مما ينتظم من شعر أبي مدين التلمساني ، قوله في [الخفيف]

لسْتُ أَنْسَى الأَحْبابَ مَا دُمْتُ حَيَّا مُذْ نَأَوا لِلنَّوَى مَكاناً قَصِيَّا
وَ تَلَوْا آيَةَ ٱلـوَدَاعِ فَخَـرُّوا خِيفَةَ ٱلْبَيْنِ سُجَّداً وَ بُكِيَّا
وَ لِذِكْراهُمُ تَسِيحُ دُموعي كُلَّمَا اشْتَقْتُ بُكْرَةً وَ عَشِيَّا
وَ أُناجي الإِلَهَ مِنْ فَرْطِ وَجْدِي كَمُنَاجاةِ عَبْدِهِ زَكَرِيَّا
وَهَنَ ٱلْعَظْمُ بِالبُعادِ فَهَبْ لي رَبِّ بِاللُّطْفِ مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَّا
وَ ٱسْتَجِبْ في ٱلْهَوَى دُعائي فَإِنّي لَمْ أَكُنْ بالدُّعاءِ رَبِّ شَقِيَّا
قَدْ فَرى قَلْبِيَ ٱلفِراقُ وَ حَقًّا كانَ يَوْمُ ٱلفِراقِ شَيْئاً فَرِيَّا
وَ اخْتَفَى نورُهُمْ فَنادَيْتُ رَبِّي في ظَلامِ الدُّجَى نِدَاءً خَفِيَّا
لَمْ يَكُ ٱلْبُعْدُ بِاخْتِياري و لَكِـن كانَ أَمْراً مُقَدَّراً مَقْضِيَّا
يَا خَلِيلَيَّ خَلّياني وَ وَجْدِي أَنَا أَوْلَى بِنَارِ وَجْدِي صَلِيَّا
إِنَّ لِي في الغَرامِ دَمْعاً مُطيعاً وَ فُؤاداً صَبَا وَ صَبْراً عَصِيَّا
أَنَا مِنْ عاذِلِي وَ صَبْرِي وَ قَلْبِي حَائِرُ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عِتِيَّا
أَنَا شَيْخُ ٱلْغَرامِ مَنْ يَتَّبِعْنِي أَهْدِهِ في ٱلْهَوى صِراطاً سَوِيَّا
أَنا مَيْتُ ٱلْهَوَى وَ يَوْمَ أَراهُمْ ذلكَ ٱلْيَوْمُ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيَّا[19]

2 – بين يدي القصيدة:

القصيدة للوهلة الأولى تبدو غزلية يترجم فيها الشاعر لوعة الفراق و وحشة البين و الهجر ، لكن هيهات أن تكون كذلك ، فالمعاني الرابضة وراء هذه اليائية أعمق من أن تفهم مباشرة دون عناء ،فالشاعر هو أبو مدين شعيب وهو كبيرهم الذي علمهم التصوف وفنونه ،و شعر المتصوفة – كما أحوالهم – تفهم بالتأويل لا بالظاهر. و الشاعر بهذا الاعتبار عند الصوفية مصنوع على عين الله جسمه في الأرض وقلبه في السماء و هذا ما يمده بالومضات الإلهية.

لذلك كان أبو مدين يصطنع شعر الحب الإنساني كأداة للتعبير عن الحب الإلهي و الذي يجسد فراق الذات المحبة عن ذات المحبوب و غيابها عنها في عالم الغير، أما

في هذه القصيدة فقد غير الأداة، فاصطنع موضوع الحنين إلى الأوطان والأهل والأحباب والخلان، وهو موضوع يشكل حيزاً ملفتاً في القصيدة العربية، ويتميز بالإحساس الرهيف، ويمتلئ بمشاعر الفقد والاغتراب و يجسد معاناة المغترب في موطنه الجديد، من آلام مبرحة، و أحزان متواصلة و عجز كامل عن كل محاولة لمد جسور التواصل التي انقطعت في يوم ما بسبب من الأسباب، وانقطع معها الأمل)[20]

و تبدو الذات الشاعرة تلظى بنار الوجد و تسح الدموع تلو الأخرى لفقد الأحبة و الأحبة في عوالم الصوفية هم : الذات الإلهية و ذات الرسول الكريم و ذات الشيوخ والأئمة.

و لعل الملفت كذلك للانتباه عند القراءة الأولى لهذه القصيدة هو أن أبياتها قد عبرت النص المقدس – القرآن الكريم – بامتياز ، فتقاطعت فواصلها مع آياته الكريمة لتعطينا معان أكثر عمقا و بناء أكثر جزالة ،و هذه الظاهرة ستأخذ حقها من الدراسة فيما يأتي من البحث.

ثالثا: الدراسة اللغوية

إن الجانب التطبيقي في تحليل النصوص الأدبية مازال عقبة كؤودًا يتعثر أمامها الكثيرون رغم الكم الهائل من التنظير في هذا المجال. و لعل اختيار الدراسة اللغوية منهجا يمنحنا مرونة أكثر في تعاملنا مع قصيدة أبي مدين اليائية هذه، و ستكون هذه الدراسة على المستويات المعروفة: الصوتي و الصرفي و التركيبي و الدلالي.

1) المستوى الصوتي :

و يسمى المستوى الإيقاعي (فالإنسان ميال بطبعه إلى الإيقاع الذي يساير حركاته الانفعالية)[21] و(لأن الشعر كلام موسيقي تنفعل لموسيقاه النفوس،وتتأثر القلوب)[22] تناغم معه الإنسان فنظمه و أنشده و سمعه و درسه ، و من مجالات ذلك دراسة الجانب الصوتي و الذي يعتبر مهما في معرفة اللغة .كما يعد التحليل الصوتي مهما في الدراسة اللغوية وقد عبر عن ذلك الدكتور نور الدين السد في كتابه الأسلوبية وتحليل الخطاب إذ يقول إن هناك « إمكانات تعبيرية كثيرة كامنة في المادة الصوتية» [23].

من هذه المنطلق نحاول إظهار هذه الإمكانات الكامنة في المادة الصوتية لقصيدة أبي مدين اليائية ، و البداية مع الموسيقى الخارجية و المتمثلة في البحر الذي اختاره الشاعر وهو الخفيف وتفعيلاته هي:

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

أما القافية والتي اختلف النقاد القدماء حول تحديد تعريف لها حيث يرى الخليل أنها (هي آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الدي قبل الساكن)[24] وقال الأخفش (آخر الكلمة في البيت أجمع)[25] (ومن المحدثين الدكتور إبراهيم أنيس الذي يقول في القافية أنها ليست إلا عدة أصوات تتكرر في أواخر الأشطر أو الأبيات من القصيدة وتكررها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية)[26]،فقد اتفق كثير منهم على أنها آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع حركة ما قبله. وهي في قصيدة أبي مدين الياء الممدودة وحرف الروي هو الياء المشبعة بحرف المد الألف. و الياء حرف جوفي

يضفي على القصيدة إيقاعا مضاعفا ليس الموسيقى الخارجية فقط بل الداخلية أيضا، وذلك ما ينطلق منه جان بيار شومري (إذ يجد أن بعض القصائد تستمد إيقاعها و موسيقاها من وجود نظام داخلي ضمني غير معلن من التوترات الصوتية)[27] .وهذا النظام الداخلي مرده لتكرار الحروف أو الكلمات أو تكرار جمل بعينها .

ا) تكرار الحروف:

الحرف الذي كان له الحظ الوافر على لسان الشاعر هو حرف الياء الذي كرر 48 مرة منها 14 مرة للقافية و 34 ما عدا القافية، و الياء حرف جوفي

أما باقي الحروف فقد تواردت بشكل متقارب لكن الملفت للنظر أن البيت الواحد تكررت فيه حروف لم تتكرر في البيت الذي يليه و هذا يقود للقول بأن هناك استقلالا موسيقيا لكل بيت و الرابط الذي جمعها هو حرف الياء الذي بدا وكأنه يلف هذه الأبيات و يلمها .

الهندسة الافتتاحية:

و هي أن يبدأ الشاعر الشطر الأول بحرف والشطر الثاني بالحرف ذاته وفي ذلك جرس ملفت للسمع، و من ذلك في القصيدة قول أبي مدين في البيت الثالث عشر:

أنا شيخ الغرام من يتبعني أهده في الهوى صراطا سويا

فالألف هو بناء الهندسة الافتتاحية لهذا البيت ونجده في كلمتي أنا و أهده و اجتمع الضمير المنفصل (أنا) و الفعل المضارع (أهده)لبناء هده الهندسة ولو أن هذه الظاهرة تكررت لأعطت للقصيدة تميزا أكثر ووضوحا أجلى .

التجانس الأمامي الخلفي:

يحدث هذا النوع من التكرار عند تجانس الصوت عبر حدود كلمتين متواليتين، وله طاقة موسيقية أخاذة، و نجده في خمسة مواضع في القصيدة و هو كم يكفي لإشاعة الجرس الموسيقي الكافي مقارنة مع عدد أبيات القصيدة. وهذه المواضع هي:

*في البيت الأول(نأووا للنوى) ،تكرر حرف النون في بداية كلمتين متجاورتين .

* في البيت الثاني (خروا خيفة)، كذلك في هذا الموضع تكرر حرف الخاء في بداية الكلمتين المتجاورتين .

* في البيت السابع (قلبي الفراق)، القاف تكررت في بداية الكلمة الأولى و في نهاية الثانية.

* في البيت العاشر (خليلي خلياني)، الخاء تكرر في بداية الكلمتين المتجاورتين.

* في البيت الحادي عشر (صبا و صبرا)، و كذا الأمر مع حرف الصاد.

و الواضح أن هذا الاختيار ليس اعتباطيا بأي حال بل مقصود لذاته لإعطاء هذه النغمة المتميزة و التي يحس بها القارئ الذي يجد نفسه يشاطر المبدع شعوره .

ب) تكرار الكلمات:

ليس هناك كلمة بارزة في النص يمكن أن تلفت انتباه المحلل لكن الملفت في هذه القصيدة هو تكرار الكثير من الكلمات مرتين في المتن الشعري مثل:

(قلب 2مرتان، حيا 2مرتان، الدموع2مرتان، الوجد 2مرتان، البعاد

2مرتان،الفراق 2مرتان، الصبر2مرتان)
و قل ما تتكرر الكلمة أكثر من ذلك: رب 3مرات، الهوى 3مرات.
والملاحظ لهده الكلمات أنها تستجيب لجو القصيدة المفعم بالشوق والوجد.

2) المستوى الصرفي

ويشتمل بنية النص الصرفية من أسماء و أفعال وحروف .
الأسماء:
و تعرف بعلامات منها التنوين و الكسر و دخول الألف و اللام عليها (التعريف)وكذا حروف الجر. و الظاهر أن الأسماء كان لها الحظ الوافر في بناء قصيدة أبي مدين شعيب و لذلك دلالة ستتضح أكثر عند مقارنتها بنسبة ورود الأفعال. والجدول الموالي فيه
تفصيل للأسماء المعرفة والنكرة :

الأسماء	المعرفة	النكرة	المجموع
عددها	41	14	55
النسبة المئوية	% 74,54	25,46%	100%

والجدول الموالي فيه تفصيل للأسماء المعرفة ب(ال) والمعرفة بالإضافة

الأسماء المعرفة	المبدوءة بالألف و اللام	المضافة	المجموع
عددها	18	23	41
النسبة المئوية	43,90%	56,10%	100%

التعريف ب(ال)الذي كالتنكير يفيد الاستغراق:
يغلب على شعر أبي مدين تعريف الاسم بأداة (ال) (والتعريف ب(ال) بدون أن يفيد التعريف المحض وإنما يفيد الاستغراق على حد عبارة النحاة وهذه لهذه الظاهرة ليست

إلا ملائمة للشعر لأنه لا يسمي الأشياء ليوسع بها المعرفة دائما فيحتاج إلى التحقيق المطلق وإنما أكثر ما يسمي الأشياء في الشعر بصور وأشكال توحي بعوالم موجودة في باطنها بالقوة وليست موجودة في ظاهرها بالفعل) (28)

والأسماء المعرفة كذلك تعني القصد و التحديد.

أما الصفات و النعوت فقد وردت في ستة مواضع. وهي أدوات للوصف الوافي كما أنها تعرف أكثر وتزيل الغموض و الضبابية.

الأفعـال :

يشترك الفعل مع الاسم في بناء النص، وفي قصيدة أبي مدين تواردت الأفعال أربعة و عشرين مرة تأرجحت بين الماضي و الحاضر و الأمر وفي الجدول الموالي إحصاء لها:

عدد الأفعال	الماضي	المضارع	الأمر	المجموع
عددها	11	10	03	24
النسبة المئوية	45,83%	41,66%	1,25%	100%

نلاحظ من خلال هذا الجدول الإحصائي أن الشاعر قد وظف جميع أزمنة الفعل (الماضي والمضارع و الأمر) مع تفاوت في نسب استخدامها فالشاعر حين ركز على الحاضر ((لأن الحدث الصوفي يتجدد باستمرار حيث إن الفعل المضارع يفيد معنى الاستمرار و الامتداد أيضا وكذلك فعل الأمر الذي يفيد طلب تحقيق الفعل في المستقبل وبهذا ينفذ الشاعر للتعبير عن الزمن الإلهي الممتد خلافا للزمن البشري المحدود المتغير فالأبيات إذا تكشف صراحة انفعال الشاعر وتعقيد مشاعره وغموضها واستمرارها أما الماضي فقد لجأ إليه الشاعر ليعبر عن شوقه وحرقته وأنه قد ذاب عشقا وحبا لمحبوبه ليس فقط في هده اللحظة وإنما كان ذلك منذ زمن بعيد وأمام اتساع حضور المضارع والأمر وما لهما من دلالات على زمن أزلي سرمدي يرغب الشاعر أن يحل فيه متخلصا بذلك من الزمن الأرضي فهو دائم الاتصال نحو الأعلى يريد الوصول والفناء لأن الفناء عنده هو الحياة و التجدد)(29)

و الملاحظ أنها نسبة قليلة ،تقارب فيها عدد الأفعال الماضية و المضارعة و معناه أن الذات الشاعرة تتأرجح بين الماضي و الحاضر، بين الزمن الذي كان فيه الأحبة حاضرين والزمن الذي غابوا فيه محدثين ألما بثه الشاعر في هذه القصيدة .

أما الأمر فزيادة على وروده المحتشم فقد أدى غرض الدعاء لله و التضرع له في هذه اللجة من المشاعر التي لا يقدر سموها و قوة وقعها إلا الله عز و جل.

(3) المستوى التركيبي:

و نتناول في هذا الجانب تركيب الجمل ومدى طولها أو قصرها ،و التقديم و التأخير فيها ،... أي أن المحلل ينطلق من الجملة أو من جزء منها. و يعد هذا الجانب من الأهمية بمكان في الدراسة اللغوية من أجل معرفة خصائص العمل الأدبي.

الروابط: و تعد عاملا مهما في مدى تماسك النص و ترابطه، و تشمل حروف العطف و حروف الجر، فكلما ارتفعت نسبتها في النص دلت على تماسك النص و ترابطه.

حروف العطف: يقول الخطيب القزويني: الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه ،العطف يكون باستعمال حروف العطف العشرة و هي (و، ف، ثم، حتى، أو، ما، أم لكن، لا، بل). و الوصل كما يقول الدكتور رابح طبجون (يلعب دورا فعالا في البنية السطحية ،أي على مستوى الشكل و لاستكمال الدلالة العميقة)[30]

و إحصاء أدوات الربط في القصيدة اليائية يعطينا النتائج الآتية(: الواو:14مرة ، الفاء : 4مرات ، لكن : 1مرة)

وفرة العطف بحرف الواو :

الواو أكثر حروف العطف مرونة في الاستخدام وأنه أكثر الحروف شيوعا في العطف لذلك فهو أكثر الحروف استخداما من قبل الشاعر أبي مدين و(إن ترديد الربط بالواو في القصيدة لا يساهم بوجه خاص في شعرية القصيدة أما بقية حروف العطف فليست وافرة وفرة الواو ولا ولع للشاعر بترديد الحرف منها في البيت أو مجموعة الأبيات كثيرا ما عدا الفاء فإن الشاعر يردد الفاء في السياق المحدود يفيد بها التدرج هو تدرج مقرون بسرعة الأحداث أو سرعة تقدم القضية مما يولد شريطا برقي السرعة)[31]

حروف الجر : وقد تواترت في النص ثلاث عشرة مرة في النص كله على الشكل التالي :
(الباء : 5مرات ، في : 4مرات ، من : 3مرات ، اللام : 1مرة)

ومما يلاحظ في الأبيات الخامس والسادس والحادي عشر تزاحم حروف الجر مما يؤدي إلى ثقل في التركيب كما يقول محمد الهادي الطرابلسي في كتابه خصائص الأسلوب في الشوقيات : (إن طاقة الدلالة في السياق الذي تستخدم فيه حروف الجر ليست رهينة الحروف في حد ذاتها والمعاني التي تؤديها فحسب إنها بعد ذلك تقوى أو تضعف بحسب أنواع حروف الجر وبحسب توزيعها على شطري البيت أو المجموعة من أبيات القصيدة وكذلك بحسب تقارب معانيها وتباعدها وليست وفرة حروف الجر في السياق أو ندرتها بذات أهمية إلا اعتبرت فيها عوامل النوع والتوزيع والمعاني فإذا كثرت حروف الجر بدون أن تتنوع هي ولا دلالاتها وساء توزيعها ثقل التركيب أشكل المعنى) [32]

الأسلوب و مدى انزياحه:

1- الأسلوب الإنشائي:

وله طاقة داخلية في النصوص و قد فسر هذه الطاقة الدكتور رابح طبجون بقوله (وذلك بتجاوزه إلى فضاءات دلالية تتعدد فيها الألوان و الأشكال ،مما يمنح المتلقي فرصة الإبحار خارج الحدود النمطية)[33]

*الاستفهام : أيهم أشد عتيا ؟

يتساءل الشاعر أيهم أشد قسوة عليه أعاذله الذي لا يجد له تبريرا في هواه ، و هو جاهل لا محالة سواء في عالم الحب فهو غير مجرب للهوى و تباريحه ، أو في عالم الصوفية فهو مازال خارج نظام الكون و لم تكشف له الحجب بعد ليحس بالحب الأعظم أم ربما يكون قلبه الذي ما عاد قادرا على تحمل الهوى فقسا على صاحبه يلومه و يعاتبه.

*الأمر: فهب لي... من لدنك وليا

و الأمر هنا نداء من عبد ضعيف لرب رؤوف وبهذه الصفة يخرج الأمر عن أصل تسميته ويصبح تذللا و دعاء و استعطافا.

*النداء: يا خليلي

يبدو أن صاحبا الشاعر المرافقين له طيلة وصلته الشعرية و طوال رحلته الشعورية مازالا ماثلين في الشعر العربي كشاهدين على وقائع القصيدة و أحداثها جميعا، فها هو أبو مدين شعيب يلتفت إليهما يشكو إليهما لوعته و هواه و ينهاهما أن يتجاوزا حد المشاهدة فهو يفضل أن يبقى متفردا مع وجده.

2- الأسلوب الخبري:

و هو كل قول يفيد المتلقي بما لم يكن عنده يحتمل التصديق كما التكذيب .ومن الأمثلة الواردة في النص:

لست أنسى الأحباب / تلوا آية الوداع / اختفي نورهم / أنا شيخ الغرام

انزياح الصور:

والصورة هو المصطلح الذي شاع استعماله للدلالة على التعابير المجازية بمختلف تسمياتها البلاغية من تشبيه و استعارة و كناية...

***الاستعارة و انزياحها:**

تلوا آية الوداع :الوداع عادة يكون لموقف الفراق ،لكن هنا انزاح عن مألوفه وأصبح كتابا مقدسا استعار له الشاعر آيات تتلى، ليضفي علي هذا الموقف صفة من العلو وعلى مشاعره هالة من القداسة.

اختفى نورهم: النور عادة يكون للكواكب و النجوم لكن خرج به الشاعر عن العادة والمألوف ليصبح النور مشعا من أحبابه كأنهم نجوم غير أنهم من الإنس . وهي صورة كثيرة التداول بين المبدعين مع تفاوتهم في مستوى تناول هده الصورة.

نار وجدي : الوجد تملك فؤاد الشاعر حتى قوي وتعاظم ثم صار نار تلظى ، و إنه يراها نار عيسى عليه السلام و هو أولى الناس بها صليا، وهو استعمال فيه عدول واضح عن المألوف

الفاصلة الشعرية	الآية الكريمة التي تناص معها	رقم الآية	السورة
مكانا قصيا	فحملته فانتبذت به مكانا قصيا	22	مريم
خروا سجدا و بكيا	إذ تتلى عليهم آيات الرحمان خروا سجدا و بكيا	58	مريم
بكرة وعشيا	فأوحى إليهما أن سبحوا بكرة و عشيا	11	مريم
كمناجاة عبده زكرياء	ذكر رحمت ربك عبده زكرياء	02	مريم
وهن العظم	قال ربي إني وهن العظم مني...	04	مريم
هب لي ...من لدنك وليا	فهب لي من لدنك وليا	05	مريم
لم أكن بالدعاء رب شقيا	و لم أكن بدعائك رب شقيا	04	مريم
شيئا فريا	قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا	27	مريم
نداء خفيا	إذ نادى ربه نداء خفيا	03	مريم
أمرا مقدرا مقضيا	و كان آمرا مقضيا	21	مريم
صراطا سويا	فاتبعني أهدك صراطا سويا	43	مريم
يوم أبعث حيا	و يوم ابعث حيا	33	مريم

3)المستوى الدلالي:

و يطلق عليه المعجمي أيضا ، وفيها – يتناول المحلل الأسلوبي استخدام المنشئ للألفاظ و ما فيها من خواص تؤثر في الأسلوب ،كتصنيفها إلى حقول دلالية .

الحقول الدلالية:

1)حقل الألفاظ الدالة على المحبة:

الأحباب ، وجدي ، الهوى ، قلبي ،خليلي ،الغرام ،فؤاد ،صبا . وهذا المعجم ينتهي في مصب واحد هو مدى تعلق الشاعر بأحبابه فاستعمل الهوى و الغرام و الصبا والوجد وكلها مرادفات الحب الذي يكنه لهم في الحضور والغياب .

2)حقل الألفاظ الدالة على الفراق و البين:

نأووا للنوى ، قصيا ،آية الوداع ، البين ،ذكراهم ،اشتقت ،البعاد ،الفراق، اختفى. وهو معجم ينسجم مع اللوعة والاشتياق التي يعيشها الشاعر.

3)حقل الألفاظ الدالة على الألم و الحزن :

خروا ،بكيا ،دموعي ، وهن العظم ، فرى ،نار ، دمعا مطيعا ، عاذلي ، حائر، أشد عتيا ميت.

4)حقل الألفاظ القرآنية :

وهذا الحقل يلفت انتباهك من الوهلة الأولى التي تطالع فيها القصيدة ففواصلها تعبر النص المقدس ـ القرآن الكريم ـ و بالأخص سورة مريم، فالقرآن الكريم يحتل مكانة أرقى في بناء القصيدة الصوفية عن طريق التالف بين لغة القرآن و لغة الشعر ـ الصوفي ـ وانسجام الموضوع الشعري و معادل المضمون القرآني وفي ذلك دلالة واضحة على مدى ارتباط الشاعر أبي مدين شعيب بالقران الكريم كيف لا وهو الإمام المتصوف . والجدول الموالي يكشف التطابق بين الآيات القرآنية في سورة مريم والخطاب الشعري الصوفي لأبي مدين شعيب.

إذا جئنا إلى شعر أبي مدين التلمساني، وجدناه لا يختلف عن غيره من الشعراء في الاقتباس والتضمين، غير أن ما يتميز به شعره، هو الإكثار من الاقتباس والتضمين من مصدر أساسي هو : القرآن الكريم، لما فيه من مكانة في نفس الشاعر، ولما له من قدرة عجيبة على التركيب والصياغة، تتآلف فيها مبانيها بمعانيها، فتتوقع وتتناغم، في صورة لا يرقى إليها لا أشعر الشعراء، ولا أغنى القوافي، فاتخذ منه أبو مدين مثاله، وتناص معه في أكثر من موضع، في القصيدة الواحدة، بله في شعره كله.

5)حقل الألفاظ الصوفية :

(فمن أهم اقتباسات أبي مدين، من القرآن العظيم، ما نجده شاخصاً منه ومهيمناً في قصيدته : (لست أنسى الأحباب) التي نتخذ منها نموذجاً لشعره، والتي نرى أن الاقتباس

فيها يدخل في باب التناص "الفني"، ذلك لأن الشاعر قد استهواه التناغم العجيب الذي صنعته سورة "مريم" في تركيبها بوجه عام، وفي فواصلها المنتهية بالياء الممدودة بوجه خاص، فما كان منه إلا أن يقلدها في بعض نسجها، ويأخذ منها بعض معانيها الشجية الموائمة لمعانيه الصوفية الشجية، ويأخذ منها بشكل صريح قوافيه، جميعاً، المنتهية بروي الياء الممدودة فجاءت بذلك في التوقيع والنغم، محاكية ومقلّدة لإيقاع فواصل سورة "مريم" ونغمها، وهي القصيدة المؤلفة من أربعة عشر بيتاً، ينتهي كل بيت منها باقتباس فاصلة أو جزء منها، من السورة المذكورة، وهي على النحو الآتي، مع ما جاء فيها من اقتباس)[34] و يشمل الجدول أدناه جملة المصطلحات الصوفية الواردة في قصيدة الشاعر أبي مدين وتقسيم الجدول مستند إلى ما ورد في المعجم الصوفي لصاحبه محمود عبد الرزاق و الذي صنف المصطلحات الصوفية إلى قسمين:

ـ الأول يشمل(المصطلحات الصوفية التي تجيزها الأصول القرآنية و النبوية... والثاني يشمل المصطلحات الصوفية التي لا تجيزها الأصول القرآنية و النبوية)[35]

البيت	التي تجيزها الأصول القرآنية و النبوية	التي لا تجيزها هذه الأصول
01	الأحباب /المحبة	الفراق
01	حيا / الحياة	يوم الفراق
02	خيفة / الخوف	نورهم / النور
03	لذكراهم / ذكر	الظلام
05	بالبعاد / البعد	بنار/النار
05	اللطف	الشيخ
06	الهوى	ميت / الموت
07	قلبي / القلب	
09	البعد	
09	باختياري / الاختيار	
10	خليلي / الخلة	
10	فؤاد / القلب	
10	/الصير صبرا	
12	صبري / الصبر	
12	قلبي / القلب	
13	الهوى	
14	حيا / الحياة	

من خلال ما ورد في قصيدة أبي مدين من مصطلحات يمكن أن نصل إلى النتائج الآتية :

تبين لنا من خلال هدا الجدول الإحصائي التطبيقي للمصطلحات الصوفية أن الجانب الأصيل من حيث النسبة إلى القرآن والسنة أكبر بكثير من الجوانب الأخرى التي لحقت بالتصوف ولا أصل لها ، فقد بلغ مجموع الاصطلاحات الصوفية ذات الأصول القرآنية والنبوية في هذه القصيدة أربعة وعشرين مصطلحا ، سبع عشرة مصطلحا ، لها جميعها أصول قرآنية أو نبوية تؤيد المعنى الصوفي في مرحلته الأولى وجانبا من الثانية ، كما بلغ عدد هذه المصطلحات مع مداخلها الفرعية والعامة سبعة مصطلحات ، وهذا يعني أن الشاعر ينتمي إلى التصوف السني الذي يجمع بين الفقه والتصوف.

6- حقل الألفاظ المتناقضة

وهذا الحقل يوحي بزمنين متقابلين، الأول زاهرو منير، أي الزمن الذي كان الشاعر في لحظات وصال مع أحبته، و الثاني مظلم و قاتم وهو رمز لزمن الفراق و البعد عن الأحبة وفيما يلي الألفاظ المتناقضة الواردة في القصيدة:

أنسى ≠ ذكراهم

حيا ≠ ميت

نورهم ≠ ظلام

اختياري ≠ مقدرا

مطيعا ≠ عصيا

استقر عند منظري علم البلاغة من العرب أن الطباق من المحسنات المعنوية الداخلة في باب البديع وأن الطباق هو الجمع بين اللفظ وضده في الكلام (فلفظ الطباق يثير مشكلا من حيث اشتقاقه ومفهومه وقد عالج العرب هذا المشكل كثيرا والذي يهمنا الاحتفاظ به من نتائجهم في دلك هو اتفاقهم الغالب على أن أصل معنى الطباق المناسبة والموافقة ومساواة المقدار من غير زيادة أو نقصان بدون أن يبنى دلك حتما على تماثل في

الدالين أو تضاد في المدلولين)[36] .والملفت في قصيدة أبي مدين هو ندرة الطباق حيث استخدمه سوى في خمسة مواطن تتقارب في معانيها ولا تساهم بالقدر الكافي في شعرية القصيدة (ولعلّ هذه النسبة المحدودة من المطابقة تعود إلى نزعة خاصة مميزة لأسلوب الشاعر ... ويبرر ذلك الضغط المضاعف على الشاعر إلى جانب الضغط المعجمي الذي يجعل الشاعر غير قادر على التفنن في إخراج طباقات أخرى)[37].

خاتمـة البحـث:

مع نهاية هذه الجولة التحليلية الخاطفة بين ثنايا قصيدة أبي مدين شعيب التلمساني ،وبين طيات معانيها، ممتطين مركب الأسلوبية بكل مستوياتها ، يمكن اجمال ما لاحظنا من معاني ظاهرة وباطنة فيما:

1 . الشاعر مولوع بالقرآن الكريم مفتتن به لهذا فانه ضمن أبياته ألفاظ القرآن الكريم و معانيه و يبدو هذا جليا في قصيدته اليائية التي اقتبس ألفاظها من سورة مريم

2. الشاعر كونه صوفيا والشعراء الصوفيون يمتازون باستعمال الرمز و الإشارة في أشعارهم من أجل تبليغ معاني الصوفية ضمن هذه الأشعار فيحملون الشعر هذه المعاني الفلسفية فيلاحظ على شعرهم الغموض الذي يعد قيمة جمالية فنية وإبداعية .

3. شعراء الصوفية يبدعون أغراض جديدة في الشعر فيؤسسون لمعاني الشوق والحنين لربهم ويسمى عند الصوفية بالحب الإلهي.

4.المتتبع لأشعار الصوفية يدرك ما يمرون به من مراحل السير إلى الله وقد عبر عنها شاعرنا أبو مدين شعيب بآداب الطريق وتشتمل على مرحلتي الغياب و الحضور.

الهوامـــــش و المراجـــع

* القرآن الكريم. سورة مريم الآيات 58.43.33.27.22.21.11.5.4.3.2

1- أبو بكر محمد الكلاباذي ,التعرف لمذهب أهل التصوف ,تحقيق محمود أمين النواوي ط3 ,المكتبة الأزهرية للتراث, القاهرة 1992ص/32.

2- المصدر السابق: ص/32.

3- محمد بن بريكة ,التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان ,ط1 , دار المتون للنشر والطباعة والتوزيع ,الجزائر 2006, ص/49.

4- أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري , الرسالة القشيرية في علم التصوف ,دار الكتب العلمية ,ط1 ,1990, ص/312.

5- جميل صليبا, المعجم الفلسفي ,مجمع اللغة العربية ,القاهرة 1983 ,ص/46.

6- إبراهيم محمد منصور, الشعر والتصوف ,دار الأمين للنشر والتوزيع ,دون تاريخ ص/21.

7- أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني, التعريفات ,دار الشؤون الثقافية ,بغداد 1986 ص/28.

8- إبراهيم محمد منصور, الشعر والتصوف ,دار الأمين للنشر والتوزيع ,دون تاريخ ص/21.

9- ألبرت أشفيتسر, فلسفة الحضارة ,ترجمة عبد الرمان بدوي ,القاهرة 1962,ص/269.

10- أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ,التشوف إلى رجال التصوف, تحقيق أ.د توفيق , مطبعة النجاح الجديدة, الدار البيضاء ,ط19972,ص/322.

11- يحي بوعزيز,مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ,دار الغرب للنشر والتوزيع,ط2 2003, ص/39.

12- أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ,التشوف إلى رجال التصوف ,تحقيق أ.د توفيق مطبعة النجاح الجديدة ,الدار البيضاء ,ط1997,2,ص/322.

13- المصدر السابق, ص/32.

14- العربي بن مصطفى الشوار ,ديوان ابي مدين شعيب ,مطبعة الترقي دمشق ط19381 ,ص/ 28.

15- الطاهر العلاوي, العالم الرباني سيدي بومدين شعيب ,دار الأمة للطباعة والنشر الجزائر, ط1 2004, ص/22 .

16- مقدمة ديوان أبي مدين شعيب ,ص/ 430.

17- عبد الحليم محمود ,أبو مدين الغوث ,دار المعرفة ,القاهرة 1985 ,ص/ 146,147.

18- أبو عبد الله محمد الملقب ابن مريم ,البستان في ذكر العلماء والأولياء في تلمسان تحقيق الدكتور محمد بن أبي شنب , المطبعة الثعالبية الجزائر 1327هـ .

19- . ديوان العارف بالله أبي مدين شعيب الغوث ، إعداد بومدين بن عبد القادر السليماني وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ,تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011,ص 42 .43. 44.

20- قاسم مومني , نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة ، (د.ط) ، 1982، ص202.

21- قاسم مومني , نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة ، (د.ط) ، 1982، ص202.

22- إبراهيم أنيس , موسيقى الشعر ،مطبعة لجنة البيان العربي ، ط3 ، 1965،ص17.

23- نور الدين السد, الأسلوبية و تحليل الخطاب ،دار هومة ،الجزائر ، (د .ط)، 1997، ص62.

24- كمال أبو ديب ,في البنية الإيقاعية للشعر العربي ,ط2 ,دار العلم للملايين, بيروت 1981, ص/230 .

25- خالدة سعيد ,حركية الإبداع ,ط2 ,دار العودة ,بيروت 1982 .ص/111 .

26- عبد الرحمان تيبرماسين, العروض وإيقاع الشعر العربي ,ط1 2003 ,دار الفجر للنشر والتوزيع ,القاهرة ,ص/35 .

27- ميخائيل ريفاتير , معايير تحليل الأسلوب ، تر: حميد الحمداني ، منشورات دراسات سال ، 1993، ص.66

28- محمد الهادي الطرابلسي ,خصائص الأسلوب في الشوقيات ,مجلد عدد 20 ,المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ,1981ص/378.

29- حياة معاش ,الأشكال الشعرية في ديوان الششتري دراسة أسلوبية ,أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب العربي, جامعة باتنة 2010|2011 ,ص/29 .

30- رابح طبجون , فاعلية الأسلوبية في قصيدة مرثية لاعب سرك ، مجلة الآداب :تصدر عن قسم اللغة العربية ،جامعة قسنطينة ، العدد10، ص39

31- محمد الهادي الطرابلسي ,خصائص الأسلوب في الشوقيات ,مجلد عدد 20, المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1981 ,ص/378..

32- المرجع نفسه , ص/ 495.

33- رابح طبجون , فاعلية الأسلوبية في قصيدة مرثية لاعب سرك ، مجلة الآداب :تصدر عن قسم اللغة العربية ،جامعة قسنطينة ، العدد10، ص43

34- مختار جبار, شعر أبي مدين التلمساني الرؤيا و التشكيل دراسة , منشورات اتحاد كتاب العرب دمشق 2002 , ص/168

35- محمود عبد الرزاق , المعجم الصوفي ، دار العلوم القاهرة ، العنوان الرابط: http// www .shmila.ws.

36- محمد الهادي الطرابلسي ,خصائص الأسلوب في الشوقيات , مجلد عدد 20, المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1981, ص/95

37- المرجع نفسه ,ص/ 95.